



دور الاستخبارات السوفيتية كي جي بي في صنع القرار في السياسة الخارجية السوفيتية

أحمد عبد الحسين حسين كروع الجياشي

جامعة تكريت - كلية التربية للعلوم الإنسانية قسم التاريخ

المشرف: الأستاذ الدكتور محمد يوسف إبراهيم القرشي

The role of the Soviet intelligence service, the KGB, in
Soviet foreign policy decision-making

Ahmed Abdul Hussein Hussein Karou Al-Jiashi

ahmed.abd.k@st.tu.edu.iq / الإيميل

Tikrit University - College of Education for Humanities -
Department of History

Supervisor: Professor Dr. Muhammad Yusuf Ibrahim Al-Quraishi

المخلص:

كان جهاز الاستخبارات مصمماً بحيث يخضع لسيطرة كبار المسؤولين في الحزب الشيوعي. وتم تقسيمه إلى ما يقرب من ٢٠ مديرية، أهمها تلك المسؤولة عن الاستخبارات الخارجية، ومكافحة التجسس الداخلي، والاستخبارات التقنية، وحماية القيادة السياسية، وأمن حدود البلاد وفي أواخر الستينيات، تم إنشاء مديرية إضافية لمراقبة على المنشقين المشتبه بهم في الكنائس والمتقنين، وعلى مدى السنوات العشرين التالية، أصبح الكي جي بي نشطاً في ملاحقة الأعداء، ومضايقة، واعتقال، وأحياناً نفي المدافعين عن حقوق الإنسان، والناشطين المسيحيين واليهود، والمتقنين الذين يحكم عليهم بأنهم غير مواليين للنظام وصف جهاز كي جي بي بأنه سيف ودرع للثورة البلشفية والحزب الشيوعي. وكان جهاز الأمن الجديد مصمماً بحيث يخضع لسيطرة كبار المسؤولين في الحزب الشيوعي. وتم تقسيمها إلى ما يقرب من ٢٠ مديرية، أهمها تلك المسؤولة عن الاستخبارات الخارجية، ومكافحة التجسس الداخلي، والاستخبارات التقنية، وحماية القيادة السياسية، وأمن حدود البلاد قام الكي جي بي تدريجياً بتوسيع عملياته الاستخباراتية الخارجية ليصبح أكبر جهاز استخبارات أجنبي في العالم. مع اشتداد الحرب الباردة مع الولايات المتحدة، أصبح يُنظر إلى الكي جي بي على أنه نظير لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) وقد حققت الاستخبارات السوفياتية نجاحات كبيرة جداً في مراحلها الأولى، حيث استطاع الجهاز استغلال حالة التراخي الأمني والسلام والطمأنينة التي تعيشها الدول الغربية كالولايات المتحدة وبريطانيا، في زرع جواسيس داخل الأجهزة الحكومية بتلك الدول، بل وفي أجهزة الأمن بها أيضاً لعب الجهاز دوراً كبيراً في الحفاظ على الاتحاد السوفياتي كدولة الحزب الواحد خلال الحرب الباردة، وذلك عن طريق مناهضة ومنع الأفكار السياسية المعارضة أو المختلفة عن فكر الحزب الشيوعي، أو ما كان يطلق عليه وقتذاك (الأيديولوجيات الهدامة) كما استطاع أن يقوم بتسريب التكنولوجيا المتقدمة أولاً بأول من العالم الغربي إلى الاتحاد السوفياتي عن طريق شبكة العملاء الهائلة التي يمتلكها.

Abstract:

The intelligence service was designed to be under the control of senior Communist Party officials. It was divided into approximately 20 directorates, the most important of which were responsible for foreign intelligence, domestic counterintelligence, technical intelligence, protection of the political leadership, and border security.

In the late 1960s, an additional directorate was created to monitor suspected dissidents in the churches and intellectuals. Over the next twenty years, the KGB became active in persecuting enemies, harassing, arresting, and sometimes exiling human rights defenders, Christian and Jewish activists, and intellectuals deemed disloyal to the regime. The KGB was described as the sword and shield of the Bolshevik Revolution and the Communist Party. The new security service was designed to be under the control of senior Communist Party officials. It was divided into approximately 20 directorates, the most important of which were those responsible for foreign intelligence, domestic counterintelligence, technical intelligence, protection of the political leadership, and the security of the country's borders. The KGB gradually expanded its foreign intelligence operations to become the largest foreign intelligence service in the world. As the Cold War with the United States intensified, the KGB came to be seen as a counterpart to the American Central Intelligence Agency (CIA). Soviet intelligence achieved great successes in its early stages, as the agency was able to exploit the state of security laxity and peace and reassurance experienced by Western countries such as the United States and Britain, in planting spies within the government agencies of those countries, and even within their security agencies as well. The agency played a major role in preserving the Soviet Union as a one-party state during the Cold War, by opposing and preventing political ideas that were opposed to or different from the ideology of the Communist Party, or what was called at the time (destructive ideologies). It was also able to leak advanced technology from the Western world to the Soviet Union through the huge network of agents it possessed.

المقدمة:

أدت لجنة أمن الدولة السوفيتية (KGB) دوراً مهماً في السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي، إذ لم تقتصر مهامها على الأمن الداخلي، بل امتدت لتشمل التجسس، والعمليات السرية، والتأثير السياسي في الخارج، ومنذ تأسيسها عام ١٩٥٤، أصبحت الذراع الاستخباراتية الرئيسية للاتحاد السوفيتي في سنوات الحرب الباردة، إذ عملت على جمع المعلومات الاستخباراتية، ودعم الحركات الشيوعية، وتنفيذ عمليات تخريبية ضد الدول الغربية. كانت أنشطة (KGB) جزءاً أساسياً من الصراع الجيوسياسي بين الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها من جهة، والاتحاد السوفيتي وحلف وارسو من جهة أخرى. استخدمت موسكو هذه الأجهزة لتجنيد العملاء، والتلاعب بالانتخابات، ونشر الدعاية الموالية للسوفييت في مختلف أنحاء العالم، مما جعلها لاعباً رئيسياً في تشكيل العلاقات الدولية خلال القرن العشرين. يهدف هذا البحث إلى توضيح دور (KGB) في السياسة الخارجية السوفيتية، من خلال دراسة أساليبه الاستخباراتية، تأثيره على الحكومات الأجنبية، ودوره في النزاعات الإقليمية، مع التركيز على الحرب الباردة والعمليات السرية التي غيرت مسار العلاقات الدولية.

دور الاستخبارات السوفيتية كي جي بي في صنع القرار في السياسة الخارجية السوفيتية (١٩٦٣ - ١٩٨٥):

أوضحت الصفحات السابقة الدور الرئيسي الذي أدته الاستخبارات السوفيتية في تنفيذ أهداف السياسة الخارجية للكرملين، وهو الدور الذي يبدو أنه اكتسب أهمية متزايدة منذ أوائل السبعينيات، وهذا يقودنا إلى السؤال هل أن جهاز الاستخبارات السوفيتي (كي جي بي) مجرد منفذ لتوجيهات الكرملين، أم أنه يؤثر في واقع الأمر على صياغة السياسات على نحو مهم؟ ومن أجل معالجة هذه المسألة بشكل فعال يجب علينا أولاً أن ننظر في عملية صنع السياسة الخارجية السوفيتية. إن السياسة الخارجية السوفيتية لا تدار من جهة فاعلة واحدة، بل من التفاعل السياسي بين عدة جهات، تمثل نخباً بيروقراطية مختلفة، وأن عملية صنع القرار في السياسة الخارجية السوفيتية عملية محفوفة بالمناورات السياسية والمصالح المتضاربة، ولا يملك أي زعيم بمفرده السلطة الكافية لاتخاذ القرار بشأن القضايا كافة، وعلى هذا فإن التوصل إلى القرارات بشكل جماعي لا يتم إلا بعد مساومة سياسية كبيرة ومناقشات شاقة (Carmel, 1979, PP.294 – 295). على الرغم من الصور المشتركة للأمن القومي، فإن كبار صناع القرار السوفييت يختلفون حول كيفية التعامل مع القضايا المختلفة وحلها، وكما هي الحال في المجتمعات الغربية فإن عملية صنع القرار السوفيتي سياسية وليست علمية، وليس بالضرورة أن يتم وضع صناع القرار في القلب نفسه، وكثيراً ما تتباين خلفياتهم ومجالات خبرتهم البيروقراطية بشكل حاد، وغالباً ما يتولون واجبات إدارية ومسؤوليات بيروقراطية مختلفة وتكون لديهم مصالح محلية وشخصية مختلفة (Dallin, 1973, P.342). هناك إجماعاً واسع النطاق بين القادة السوفييت حول المبادئ الأساسية في السياسة الخارجية، ولا سيما في أوقات الأزمات الدولية، فإن اتخاذ القرارات يكون في أيدي لجنة تنفيذية مختارة تتكون من عناصر مهمة تجمع بين المركزية والعودة إلى ردود الفعل والاستجابات التقليدية، للحد من بعض الصراعات التي تؤثر على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية (Carmel, 1979, PP.296 – 297). وفي عام ١٩٧٣ وضع رؤساء الاستخبارات السوفيتية وكبار رجال وزارة الخارجية ووزارة الدفاع في هيئة صنع القرارات الرئيسية في المكتب السياسي للحزب الشيوعي، وهذا كان جزءاً من سياسة التوجه نحو المزيد من التكامل بين المصالح المختلفة، وبالتالي تخفيف الصراع (Valenta, 1975).

P.156). وعلى الرغم من توجه القيادة السوفيتية نحو السيد بسيادة الإجماع، إلا أن هذا لا ينكر أبداً تأثير الاستخبارات السوفيتية على عملية صنع القرار في السياسة الخارجية، إذ أنه وجه السلوك السوفيتي في الأزمة التشيكوسلوفاكية عام ١٩٦٨، وكان له دور في المشاركة في الأزمة التشيكوسلوفاكية وعملية صنع القرار، والتي تعد مهمة في حالة الاستخبارات السوفيتية، وفي فهم تأثيرها تشارك الاستخبارات السوفيتية في عملية صنع القرار في السياسة الخارجية على أعلى مستوى عبر المكتب السياسي، إذ إن رئيسها تشيبيريكوف هو عضو في القيادة الجماعية لصنع القرارات في المكتب السياسي للحزب، لذلك فإنه أثر في صياغة السياسة الخارجية وكمنفذ لتلك السياسة ومزود للمعلومات ومولد للأفكار والحلول والبدائل (Adomeit, 1981, P.56). كان هناك اختلاف في وجهات النظر والآراء بين مسؤولي جهاز الاستخبارات، فلم تكن هناك وجهة نظر موحدة بين المسؤولين عن الأمن الداخلي، وأولئك الذين يعملون في العمليات الخارجية بشأن بعض القضايا، ومثال ذلك موقف الفريقين من سياسة الانفراج التي بدأها بريجنيف في عام ١٩٧٢، والتي كانت موضع ترحيب من قبل المسؤولين عن العمليات الخارجية، لأنها أتاحت فرصاً لتعيين أعداد متزايدة من ضباط الاستخبارات السوفيتية في الدول الغربية تحت غطاء قانوني (Valenta, 1979, P.25). أما بالنسبة للمسؤولين عن الأمن الداخلي فإن سياسة الانفراج تعني زيادة في عدد الأجانب الذين يزورون الاتحاد السوفيتي، وتوسيع الاتصالات مع الغرب، وهذا يعني ضرورة تخفيف حملة القمع على المعارضة، وهذا جعل مهمة الاستخبارات السوفيتية داخل الاتحاد السوفيتي أكثر صعوبة، وبالتالي عندما ندرس تأثير الاستخبارات السوفيتية على السياسة الخارجية وموقفها المحتمل من بعض القضايا يجب علينا أن ننظر إلى الاهتمامات الداخلية والخارجية لجهاز الاستخبارات السوفيتية (Pravda, 21 December 1972, P.3). كان رؤساء الاستخبارات السوفيتية يشرفون على العمليات الخارجية لجهازهم، وهذا بلا شك طور وجهات نظرهم الخاصة بشأن السياسة الخارجية، انطلاقاً من تصريحاتهما العلنية، وكان كل من شليبين وسيميشاستني متشددين ولم يفضلا التقارب مع الغرب، وقد عارضوا جهود خروتشوف في هذا الاتجاه، على سبيل المثال لم يجد شليبين أي شيء إيجابي ليقوله عن الغرب في خطابه أمام المؤتمر الثاني والعشرين للحزب في عام ١٩٦١، مفضلاً مناقشة التهديد الذي تفرضه وكالات الاستخبارات الغربية على الاتحاد السوفيتي، فحينها كشف سيميشاستني عن عدائه الشديد تجاه الولايات المتحدة الأمريكية (Golan, 1984, P.195). شرعت قيادة الاستخبارات السوفيتية في القيام بعدد من العمليات لعرقلة جهود خروتشوف لتحقيق الانفراج مع الغرب، مثل اعتقال البروفيسور فريدريك بارجورن من جامعة ييل في عام ١٩٦٣ بتهم ملفقة بالتجسس، وكان هذا الاستفزاز المتعمد من الاستخبارات السوفيتية، الذي انتهى عندما تدخل الرئيس كينيدي لإطلاق سراح بارغورن، عندما طلب من خروتشوف ذلك، وكان الأمر الأكثر ضرراً لخروتشوف هو الهجوم بغاز الخردل الذي شنته الاستخبارات السوفيتية على أحد الفنيين الألمان الغربيين (هورست شويركمان)، في الوقت الذي كان فيه خروشوف يبذل جهداً لإبرام اتفاقية تجارية كبرى مع ألمانيا الغربية، وأثار الحادث الذي وقع في أيلول / سبتمبر ١٩٦٤ قبل وقت قصير من الإطاحة بخروشوف غضب بون، ودمر كل احتمالات التوصل إلى اتفاق تجاري، وقد أدركت قيادة الاستخبارات السوفيتية التي كانت على علم بالانقلاب الوشيك أن مثل هذا العمل يمكن ارتكابه مع الإفلات من العقاب (Yu. V., 1983, Ctp.121). بحلول أواخر عام ١٩٦٥ كان تأثير ما يسمى بالشليبينتسي (الفصيل المحيط بـ ألكسندر شليبين) قد ارتفع بشكل كبير، إذ كان شليبين نفسه، الذي استمر في الإشراف على شؤون الشرطة عضواً كاملاً في المكتب السياسي منذ عام ١٩٦٤، إذ دعت مجموعته إلى زيادة التدخل السوفيتي في الخارج، وفي عام ١٩٦٧ حثت على انتهاج سياسة صداقة وتعاون تجاه مصر، التي كانت في ذلك الوقت حليفاً للاتحاد السوفيتي في كانون الأول / ديسمبر ١٩٦٤، إذ سافر شليبين إلى القاهرة ليوعد مسؤوليها بالمساعدة السوفيتية في النضال ضد الإمبريالية، وبعد ذلك تم شغل العديد من المناصب الدبلوماسية في الشرق الأوسط (Shultz and Godson, 1984, P.31). كان للاستخبارات السوفيتية دور في اتخاذ القرار بشأن حرب أكتوبر ١٩٧٣، وكان الدليل الوحيد على تورط الاستخبارات السوفيتية هو تصريح أدلى به السادات مفاده أن أندروبوف بوصفه صديقاً مقرباً لرئيس المخابرات المصرية السابق (أحمد إسماعيل)، الذي أعرب عن استعداده للتدخل نيابة عن مصر، وشارك أندروبوف في بعض الاجتماعات مع المصريين، إلا أنه لم تكن هناك علامات أخرى على تأثيره، وقد أرجأ بأعذار واهية دعوة من السادات للذهاب إلى مصر ومع ذلك (Malygin, 1979, Ctp. Ctp. 59 – 60). كان دور الاستخبارات السوفيتية في توفير المعلومات الاستخبارية خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ مهماً للغاية، وعلى النقيض من إخفاقاتهم الاستخباراتية السابقة كان جهاز الاستخبارات السوفيتي على علم جيد بالخطط العربية، إذ كان الروس على علم بالنوايا المصرية السورية قبل عشرة أيام على الأقل، وذلك بفضل هوائياتهم في دمشق، ولكن بعد أن تعلموا من خيبات الأمل السابقة قرروا تزويد السادات بكل المساعدة المادية اللازمة لتحقيق أهدافه (Fedorchuk and Stepanov, 1979, Ctp. Ctp. 86 – 89). إن تقرير الاستخبارات السوفيتية الذي تم تقديمه في اجتماع للمكتب السياسي عام ١٩٧٤ كان مسؤولاً عن قرار الكرملين بتغيير سياسته في الشرق الأوسط، بعد أن أوصى التقرير بدعم أكبر للجماعات المتطرفة والإرهابية، والتركيز على اختراق

مناطق الخليج العربي والقارة الأفريقية يقدم القرار السوفييتي بغزو تشيكوسلوفاكيا (Bittman, 1972, PP.188 – Valenta, 1979, P.23 ; 189)، ففي آب / أغسطس ١٩٦٨ مثلاً جيداً لتورط الاستخبارات السوفيتية كمؤسسة في صنع القرار في السياسة الخارجية، إذ كان رئيس الاستخبارات السوفيتية أندروبوف عضو مرشح (ليس له حق التصويت) في المكتب السياسي، وعمل لأكثر من عشر سنوات كرئيس لقسم الاتصال مع الأحزاب الشيوعية الحاكمة في اللجنة المركزية، وكان خبيراً بارزاً في شؤون أوروبا الشرقية، ولا شك أنه تمت استشارته على نطاق واسع خلال الأزمة، وكان أندروبوف قد رافق بريجنيف في عدة رحلات إلى دول أوروبا الشرقية في المدة (١٩٦٦ – ١٩٦٧)، وكان الهدف منها في المقام الأول منع إقامة علاقات دبلوماسية مع ألمانيا الغربية (Frolik, 1975, PP.148 – 150). تركز الدور النشط لجهاز الاستخبارات في أحداث عامي ١٩٦٨ و ١٩٦٩ في تشيكوسلوفاكيا على التنفيذ المنهجي للاستفزاز السياسي والتضليل والحملات الدعائية التي تهدف إلى التأثير على الرأي العام التشيكوسلوفاكي، وإرهاب مجموعة مختارة من الليبراليين، وخلق حجج داعمة للشرعية من الغزو السوفييتي (Dawisha, 1984, PP.52 – 54). إن غزو تشيكوسلوفاكيا مكن جهاز الاستخبارات السوفيتية من استعادة أهميته وقدراته الاستخباراتية هناك، بعد أن أزال التهديد الذي كان يهدد مسؤولي الاستخبارات السوفيتية المسؤولين عن الأمن السياسي السوفييتي في الداخل، وأن المصالح التنظيمية للاستخبارات السوفيتية، وأثرت وبلا شك على قرار الكرملين بالغزو، إذ مارست الاستخبارات السوفيتية نفوذها الرئيس بحكم دورها كمنفذ للسياسة ومقدم للمعلومات مع نمو سلطة أندروبوف الشخصية، لاسيما بعد حصوله على العضوية الكاملة في المكتب السياسي في عام ١٩٧٣ زادت مشاركة الاستخبارات السوفيتية في اتخاذ القرارات القيادية (Estonian Radio broadcast on 27 December 1973, 2 January 1974, R6). اتخذ أندروبوف وجهة نظر أوسع شملت اهتمامات السياسة الداخلية والخارجية، وعلى الرغم من دعمه لسياسات مثل غزو تشيكوسلوفاكيا فإنه لم يدعو بالضرورة إلى اتخاذ موقف متشدد في التعامل مع الغرب، ولا سيما إذا كان ذلك مصحوباً بالتدخل العسكري وسباق تسلح متصاعد، ولا تؤدي زيادة الإنفاق الدفاعي إلى تعزيز النفوذ المحلي للجيش السوفييتي فحسب، بل إنها تضع أيضاً ضغوطاً أكبر على الاقتصاد، مما يستنزف المزيد من الموارد من القطاع الاستهلاكي الضعيف، وقد يؤدي نقص الغذاء وغيره من أشكال الفشل في تلبية احتياجات المستهلكين إلى خلق اضطرابات سياسية كما حدث في بولندا (Valenta, 1979, P.107) ويمكن أن نضيف أن أندروبوف كان من أوائل الذين شككوا في السياسة السوفيتية المتمثلة في تقديم المساعدة العسكرية والاقتصادية المفتوحة لحلفاء العالم الثالث، وربما بسبب الآثار الضارة على العلاقات بين الشرق والغرب والعبء الاقتصادي المتزايد الذي فرضته على السوفييت (Golan, 1984, P.201). مما لا شك فيه أن الحلول غير العسكرية تعد مفضلة من قبل أولئك الذين ينفذون عمليات الاستخبارات السوفيتية في الخارج، ولا سيما عندما تكون هناك فرص لاستغلال العوامل الاجتماعية والسياسية لصالح الاتحاد السوفييتي، وهذا يمنح الاستخبارات السوفيتية تأثيراً أكبر على الاستراتيجية العالمية السوفيتية (New York Times Magazine, 6 November 1977, P.3). إن الموقف العسكري السوفييتي العدواني يجعل الصراع الإيديولوجي أكثر صعوبة، إذ أنه ليس من السهل على الاستخبارات السوفيتية استغلال التوترات الاجتماعية والسياسية في الغرب والتأثير على مسار (حركات التحرير) عندما يكون لدى الاتحاد السوفييتي صورة المعتدي (Bittman, 192 – 191, PP.192, 1972). أدى الغزو السوفييتي لأفغانستان إلى خلق عقبات أمام الاستخبارات السوفيتية في تنفيذ الحملة ضد نشر قوات حلف شمال الأطلسي للصواريخ النووية متوسطة المدى، والواقع أن تصريحات أندروبوف في خطابه الذي ألقاه في انتخابات المجلس الأعلى للاتحاد السوفييتي في عام ١٩٨٠ أشار فيه إلى أنه اختلف مع القرار السوفييتي بإرسال قوة عسكرية واسعة النطاق إلى أفغانستان، أو على الأقل أنه لم يكن سعيداً بالنتيجة (Dawisha, 1984, P.55)، وكان العضو الوحيد في المكتب السياسي الذي أبدى تشاؤماً بشأن الوضع العالمي بعد الغزو، مشيراً إلى أنه يجب القول بصراحة أن هناك أسباباً حقيقية للقلق بشأن المستقبل ومصير الانفراج والسلام، وكان أعضاء آخرون في قيادة الاستخبارات السوفيتية ينظرون إلى غزو أفغانستان من منظور مختلف، إذ ذكروا أنه لم يكن هناك سوى القليل من التهديد المباشر للاستقرار الداخلي للاتحاد السوفييتي من التمرد الإسلامي في أفغانستان عام ١٩٧٩، على عكس حالة تشيكوسلوفاكيا، إذ هددت روح الإصلاح بالانتشار إلى أوكرانيا والجمهوريات السوفيتية الأخرى، واحتمالية حدوث تداعيات على آسيا الوسطى السوفيتية أو القوقاز من الأصولية الإسلامية (Yu. 129 – 131, Cтp.Cтp. V., 1983). ومع ذلك فإن مسؤولي الاستخبارات السوفيتية على الجانب الداخلي، ولا سيما أولئك الذين يخدمون في المناطق القريبة من أفغانستان ربما فضلوا الغزو، لأنهم كانوا قلقين بشأن التأثيرات طويلة المدى للحركة الإسلامية، إذ أعرب رئيس الاستخبارات السوفيتية في أدريجان (يوسف زاده) عن هذا القلق بقوله: "في ضوء الوضع في إيران وأفغانستان تحاول الخدمات الخاصة الأمريكية استغلال الدين الإسلامي، لاسيما في المناطق التي يعيش فيها السكان المسلمون كأحد العوامل المؤثرة على الوضع السياسي في الاتحاد السوفييتي" (Knight, 1980, PP.150 – 151). من الصعب أن نتكهن بالكيفية التي نظر بها مسؤولو الاستخبارات السوفيتية إلى الأزمة البولندية في المدة

(١٩٨٠ - ١٩٨١)، وتحدث أندروبوف نفسه قليلاً عن هذه المشكلة بقوله: "من المفترض أنه على الرغم من أنهم كانوا قلقين للغاية بشأن التداعيات السياسية المحتملة للأحداث في بولندا، إلا أنهم لم يرغبوا في رؤية الاتحاد السوفييتي يلجأ إلى التدخل العسكري" (Tsvigun, 1972, Ctp.110)، ومرة أخرى من وجهة نظر أولئك الذين يتعاملون مع العمليات الخارجية لجهاز الاستخبارات السوفيتية، فإن مثل هذا التدخل كان من شأنه أن يكون له عواقب سلبية على الصورة الدولية للاتحاد السوفييتي، التي تراجعت عندما كان الاستخبارات السوفيتية والإدارة الدولية وإدارة المعلومات الدولية يعملون بجد عبر حملة دعائية واسعة النطاق وإجراءات نشطة، لتعبئة الرأي العام في أوروبا الغربية ضد خطط الناتو، علاوة على ذلك فإن غزو بولندا أشار إلى عدم قدرة السوفييت على كبح الاضطرابات السياسية هناك بالوسائل السلمية، وبالتالي كان سيعزز دور الجيش السوفييتي في حل مشاكل السياسة الخارجية (Tsvigun, 1977, Ctp.210) لاشك أن أندروبوف بصفته خبيراً في شؤون أوروبا الشرقية ورئيس الوكالة المسؤولة عن توفير الاستخبارات السياسية وعضواً كامل العضوية في المكتب السياسي، أثر بشكل كبير على قرار الامتناع عن التدخل العسكري في بولندا، وهو القرار الذي قد يكون له تأثير كبير على بولندا، التي واجهت معارضة من بعض حراس وجنرالات بربجنيف (Pravda, 12 February 1980, P.2) كانت استراتيجية قمع الاضطرابات في بولندا باستخدام القوات البولندية الداخلية بدلاً من القوات السوفيتية تعني دوراً مهماً للاستخبارات السوفيتية في تنسيق تلك الجهود، ومن الممكن أن نغزو نجاح هذه الاستراتيجية جزئياً على الأقل إلى أندروبوف الذي بدأ نجمه السياسي يسطع في الكرملين في ذلك الوقت (Pravda, 14 February 1980, P.2) وعلى الرغم من أن النظام السياسي الداخلي كان في حالة تغير مستمر منذ وفاة بربجنيف، فإن خلفاء أندروبوف في هيئة الاستخبارات السوفيتية (كي جي بي) واجهوا أزمات في السياسة الخارجية كتلك التي نوقشت آنفاً، وهذا أمر مصادفة لأنه لم يكن لدى فيدوروشوك ولا تشييريكوف اللذان تولا رئاسة الاستخبارات السوفيتية خبرة في السياسة الخارجية، فعندما تولى فيدوروشوك منصبه بعد (١٢) عاماً من توليه منصب رئيس الاستخبارات السوفيتية في أوكرانيا، كان فيدوروشوك حاداً بشكل خاص في انتقاداته للغرب، ولم يظهر أي ميول إيجابية نحو فكرة الوفاق (Knight, 1990, P.211)، وليس من المستغرب أن أعرب فيدوروشوك عن قلقه البالغ إزاء الأحداث في بولندا، وكان مناصراً قوياً لقمع التضامن، وأعلن في عام ١٩٨١ أن أعداء السلام والاشتراكية ينفذون مخططاتهم الخبيثة للضغط السياسي والاقتصادي المتزايد على المجتمع الاشتراكي (Valenta, 1979, P.118)، ومضى فيدوروشوك ليشير إلى أن الأحداث في بولندا أثبتت أن أي نوع من الاستخفاف بالأيديولوجية الماركسية والشيوعية، وأي خطأ أو تقصير أو انتهاك للقوانين الاقتصادية الاشتراكية والتراخي في التثقيف الأيديولوجي والسياسي للجماهير يأتي بنتائج عكسية، أن مثل هذا النهج الصارم والتشدد للغاية جعل من فيدوروشوك غير مناسب لمتطلبات وظيفة رئيس الاستخبارات السوفيتية (Yu. V., 1983, Ctp.135) أما تشييريكوف الذي أصبح رئيساً لجهاز الاستخبارات الروسية في كانون الأول / ديسمبر ١٩٨٢، ثم دخل كعضو كامل العضوية في المكتب السياسي في نيسان / أبريل ١٩٨٥ منحه صوتاً في السياسة الخارجية على أعلى مستوى، إذ كان معظم الخبراء الغربيين يعتقدون أن رئيس الاستخبارات السوفيتية يعمل في مجلس الدفاع، وهو هيئة جماعية مهمة لصنع القرار توفر التنسيق على أعلى مستوى للأنشطة المتعلقة بالدفاع للحكومة السوفيتية، نظراً لأنه خدم في الاستخبارات السوفيتية لما يقرب من عشرين عاماً (Bakiinskii Rabochii, 19 December 1985, P.3)، فمن الممكن الافتراض أن تشييريكوف مثل أندروبوف يمثل المصالح المؤسسية لجهاز الاستخبارات السوفيتية، ولها القدرة على اتخاذ القرار، وعلى الرغم من أن تشييريكوف يفقر إلى خبرة أندروبوف في السياسة الخارجية، فإن رحلاته العديدة إلى أوروبا الشرقية منذ أن أصبح رئيساً لجهاز الاستخبارات السوفيتية تشير إلى أنه كان يشارك بشكل كبير في عمليات الاستخبارات السوفيتية خارج الحدود السوفيتية، ويشجع الجهود التعاونية مع وكالات الاستخبارات مع الدول الاشتراكية، وكان دفاعه القوي عن جهود (الدعاية المضادة) السوفيتية في الخارج تعني ضمناً التزاماً بدور قوي لجهاز الاستخبارات السوفيتية في السياسة الخارجية (Anderson, 1982, PP.26 – 28) أدلى تشييريكوف ببعض التصريحات العامة إذ أشار إلى مخاطر الميول القومية والانفصالية، فضلاً عن التحريفية، ولكن بشكل عام كان أقل إثارة للقلق بكثير من فيدوروشوك في خطابه عبر تشييريكوف في مقالاته منذ توليه رئاسة الاستخبارات السوفيتية، عن قلقه بشأن التأثيرات السياسية الداخلية لثورة الاتصالات والابتكارات التكنولوجية الغربية مثل مقاطع الفيديو وأجهزة الكمبيوتر، وتشير تحذيراته المستمرة بشأن التخريب الإيديولوجي إلى أنه ليس مناصراً قوياً لتوسيع العلاقات مع الغرب (Golan, 1984, P.203). وأعرب تشييريكوف عن تفاؤل كبير بشأن آفاق قمة جنيف عام ١٩٨٥ بين ريغان وغورباتشوف، وفي خطابه بمناسبة ذكرى ثورة أكتوبر في خريف عام ١٩٨٥ أشار تشييريكوف إلى ما يلي: "وكما هو معروف فإن الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية وكما هو مقرر عقد قمة في جنيف اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي وحكومة اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية تولي أهمية كبيرة لها وتبذل قصارى جهدها لضمان تحقيق نتائج ملموسة، ونعتقد أنه إذا تجلت الشجاعة السياسية وإذا التقينا ببعضنا البعض في منتصف الطريق، فسيظل من الممكن

وضع الكثير من الأمور في نصابها الصحيح" (3 – 2 PP. Sovetskaia Estoniia, 23 September 1984) وأشار تشيبيريكوف في خطاب له في ١١ أيلول / سبتمبر ١٩٨٧ إلى أنه يعارض مبادرات غورباتشوف للحد من الأسلحة، لكنه وزملاؤه يرحبون بعملية الحد من الأسلحة كوسيلة للحد من الإنفاق العسكري، ولكنهم قد يشعرون بعدم الارتياح إزاء المشكلة الشائكة المتمثلة في التحقق من اتفاقيات الحد من الأسلحة، وبما أن الاستخبارات السوفيتية مسؤولة عن حماية الأسرار النووية، فمن المحتمل أن مسؤوليها لا يرحبون بفكرة السماح لممثلي الغرب بالوصول إلى منشآت الدفاع السوفيتية، ففي خطاب ألقاه في عام ١٩٨٤ على سبيل المثال، اتهم تشيبيريكوف الولايات المتحدة الأمريكية بخلق قضية مصطنعة من عملية التحقق كوسيلة لإطالة أمد المفاوضات (Jones, 1985, PP.6 – 10) إن التأثير الذي مارسه جهاز الاستخبارات السوفيتية على السياسة الخارجية لاسيما بعد اتخاذ الكرملين سياسة تجنب التدخل العسكري الشديد الخطورة كوسيلة لتعزيز أهدافه الدولية، لذلك تم التركيز بشكل أكبر على الدبلوماسية والتدابير النشطة، وهكذا أدى إلى توسع كبير في عمليات الاستخبارات السوفيتية في الخارج، حتى بعد خفض الاتحاد السوفيتي دعمه للحركات المتطرفة الجديدة في العالم الثالث، وهناك الكثير من الدلائل تشير إلى أن قيادة غورباتشوف عملت على تقليص الوظائف الداخلية الأكثر قمعية لجهاز الاستخبارات السوفيتية، وأنها أرادت بشكل كبير الاعتماد على الأنشطة الخارجية لهذه المؤسسة (Sejna and Douglass, 1986, PP.30 – 39) لقد كشف سلوك السياسة الخارجية في عهد غورباتشوف عن قدر أكبر من المرونة التكتيكية والواقعية مقارنة بما كانت عليه في عهد بريجنيف، إذ قام غورباتشوف بتجميع فريق للأمن القومي يتطلع إلى المستقبل ويركز بقوة على العلاقات العامة والأساليب الديناميكية في التعامل مع المشاكل الدولية، على الرغم من التناقضات الواضحة بين وجهات نظر تشيبيريكوف وغورباتشوف فإن ضباط المخابرات الخارجية في الاستخبارات السوفيتية الذين يمثلون نخبة متطورة ومتعلمة جيداً، كان يجب أن يتناسوا جيداً مع هذا القالب، ويقدموا خبرة مفيدة لتعزيز الأهداف السوفيتية في الخارج (Pravda, 7 November 1985, P.2) والواقع أن مسؤولي الاستخبارات السوفيتية عملوا لمدة طويلة بشكل وثيق مع الإدارة الدولية ومراكز الفكر مثل معهد الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، والتي يقال إنها كانت تتولى دوراً أكبر في صنع القرار في السياسة الخارجية، وكان أندروبوف نفسه على علاقة وثيقة مع بعض هؤلاء المسؤولين مثل جورجي أرباتوف وألكسندر بوفين، الذين برزوا كشخصيات مؤثرة في مجال السياسة الخارجية، وكانوا من أتباع أندروبوف الذين بقوا في الاستخبارات السوفيتية، وعلى وجه الخصوص كريتوشكوف والذين احتفظوا بهذا الارتباط، وبالتالي مهما كانت السلطة الشخصية لرئيس الاستخبارات السوفيتية في أي وقت من الأوقات بوصفه مزوداً للمعلومات ومنفذاً للسياسة، فإن الاستخبارات السوفيتية استمرت في التأثير بقوة على السياسة الخارجية (Pravda, 11 September 1987, P.3).

الذاتية:

هي المؤسسة التي تسود في عملية صنع القرار ويمكن ممارسة السلطة بطرق أخرى أقل علنية، عن طريق التأثير أو الأشكال الخفية من التلاعب اقترح أحد المنظرين السياسيين، ستيفن لوكس، أن السلطة يمكن أن تتطوي على (السيطرة على أجندة السياسة والطرق التي يتم بها إبعاد القضايا المحتملة عن العملية السياسية) وباعتباره مزود المعلومات للكرملين حول كافة أنواع القضايا الداخلية والخارجية، فإن الاستخبارات السوفيتية في وضع يسمح له بالتأثير على أجندة السياسة في الواقع قدمت هذه الدراسة أدلة على أن الاستخبارات السوفيتية من خلال تزويد الكرملين بالمعلومات كان لها تأثير على بعض القرارات رفيعة المستوى و يمكن تقديم حجة جيدة لإثبات أن الاستخبارات السوفيتية قد أثر على السياسة باعتباره منفذاً لتوجيهات الكرملين، ويرجع ذلك إلى حد كبير إلى درجة الاستقلالية التي يتمتع بها في تنفيذ مهامه. حيث أن قيادات الاستخبارات السوفيتية لديهم وجهات نظر تحدد انتماؤهم المؤسسة وطبيعة المهام التي يؤديونها، وطبيعة المهام التي يؤديونها وتفاعلاتهم مع أعضاء المؤسسات الأخرى على سبيل المثال، قد يؤدي العداء القائم بين ضباط الاستخبارات السوفيتية وضباط المخابرات العسكرية الروسية في الخارج، فضلاً عن التوترات الناجمة عن وجود الأقسام الخاصة التابعة لجهاز الاستخبارات السوفيتية في القوات المسلحة، إلى خلق العداء بين الاستخبارات السوفيتية والمؤسسة العسكرية وربما تنشأ المنافسة القضائية أيضاً بين الاستخبارات السوفيتية والمنظمات الأخرى، مثل وزارة الخارجية ووزارة الداخلية وبالإضافة إلى الخلافات المحتملة حول السياسة، يشعر مسؤولو وزارة الخارجية بالاستياء من المراقبة المكثفة التي تمارسها وكالة أمن الدولة (الاستخبارات السوفيتية) على دبلوماسيهم واستخدامها لموظفي وزارة الخارجية في الخارج لجمع المعلومات الاستخبارية والحقيقة أن حرية الاستخبارات السوفيتية في التدخل في قضايا وزارة الداخلية والاستعانة بها في أي وقت من الأوقات تثير قدراً كبيراً من الاستياء داخل الوزارة وهو ما يتفاقم بلا أدنى شك بسبب الأجور المرتفعة التي يتقاضاها أعضاء الاستخبارات السوفيتية والوضع المتميز الذي يتمتعون به. وقد تساهم هذه العدوات في تفاقم ضيق الأفق المؤسسي داخل الاستخبارات السوفيتية على المستويات الأعلى، حيث يمكن تخريب السياسات من خلال القرارات المتخذة بشأن نوع المعلومات التي سيتم نشرها أو حول الطريقة التي يتم بها تنفيذ التوجيهات السياسية على الرغم من أن مسؤولي الاستخبارات السوفيتية يتقاسمون

بلا شك قيماً وأهدافاً مشتركة مع مسؤولين من الحزب والمؤسسات الأخرى، إلا أن لديهم أيضاً وجهات نظرهم الخاصة حول قضايا معينة، مثل الإنفاق الدفاعي، أو الانفراج، أو السياسة الجنائية. ما هي إذن أصول الاستخبارات السوفيتية كمؤسسة سياسية تسعى إلى تعزيز مصالحها الخاصة مرة أخرى، إذا نظرنا إلى الأحداث من منظور تاريخي، نرى أن الشرطة السياسية تمكنت من النجاة من تقلبات إصلاحات خروتشوف وسياسة اجتثاث الستالينية من خلال تكييف نفسها مع الظروف المتغيرة ولم يعد الإرهاب متاحاً كسلاح، ولكن بفضل قيادة أندريوفوف الذكية إلى حد كبير، نجح جهاز الاستخبارات السوفيتية (كي جي بي) في تطوير أساليب لضمان الاستقرار السياسي في الداخل، وكانت لا تقل فعالية عن تلك التي استخدمها أسلافه الستالينيون وبكل بساطة، انتقلت الشرطة السياسية من الإكراه إلى التلاعب. لقد أصبح قياديون الاستخبارات السوفيتية أكثر تطوراً، حيث يستخدمون تقنيات نفسية أكثر دقة لإخضاع مظاهر المعارضة السياسية وزيادة دورهم في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية على الرغم من أن الإكراه لا يزال يستخدم، فإن الاستخبارات السوفيتية يعمل تحت ستار الشرعية الاشتراكية ويسعى إلى منع حدوث المعارضة بدلاً من معاقبتها وقد عكست الأنشطة الخارجية لجهاز الاستخبارات السوفيتية هذا التغيير في الأسلوب مع التركيز المتزايد على الدعاية والعلاقات العامة نيابة عن الاتحاد السوفيتي بمعنى ما، فإن مثل هذا التركيز على التلاعب بدلاً من الإكراه، والذي يتضمن وعياً شديداً بصورة الكرملين وصورة الاستخبارات السوفيتية على وجه التحديد، يمنح الاستخبارات السوفيتية سلطة أعظم.

المصادر:

أولاً: المصادر الأجنبية:

- 1-Adomeit, Hannes, 1981, Consensus Versus Conflict: The Dimension of Foreign Policy, in The Domestic Context of Soviet Foreign Policy, ed. Seweryn Bialer, Westview Press, Boulder, Colombia.
- 2-Bittman, Ladislav, 1972, The Deception Game: Czechoslovak Intelligence in Soviet Political Warfare, Syracuse University Research Corp., Syracuse, New York.
- 3-Dallin, Alexander, 1973, "Domestic Factors Influencing Soviet Foreign Policy", in The USSR and the Middle East, ed. Michael Confino and Shimon Shamir, Transaction Books, New Brunswick, New Jersey.
- 4-Dawisha, Karen, 1984, The Kremlin and the Prague Spring: International Crisis Behavior, University of California, U.S.A.
- 5-Derogy, Jacques and Carmel, 1979, Hesi, The Untold History of Israel, Grove Press, New York.
- 6-Ellen Jones, Red Army and Society: A Sociology of the Soviet Military, Allen & Unwin, Winchester.
- 7-Frolík, Josef, 1975, The Frolík Defection, Leo Cooper, London.
- 8-Golan, Galia, 1984, Soviet Decisionmaking in the Yom Kippur War, in Soviet Decisionmaking for National Security, ed. Jiri Valenta and William C. Potter, Allen & Unwin, London.
- 9-Knight, Amy, 1990, The KGB: Police and Politics in the Soviet Union, Unwin Hyman, London.
- 10- Sejna, Jan and Douglass, Joseph D., 1986, Decision – Making in Communist Countries: An Inside View, Institution for Foreign Policy Analysis, Cambridge and Washington.
- 11- Shultz Richard H. and Godson, Roy, 1984, Dezinformatsia: Active Measures in Soviet Strategy, University of Nebraska Press, U.S.A.
- 12- Valenta, Jiri, , 1979, Soviet Intervention in Czechoslovakia, 1968: Anatomy of a Decision, Johns Hopkins University Press, Baltimore and London.
- 13- Yu. V. Andropov, 1985, Izbrannye rechi i stat'i, Politizdat Moskva, Moscow, 1983.

ثانياً: البحوث المنشورة:

- 1-Anderson, Richard D., 1982, "Soviet Decision – Making and Poland", POC, Vol.31.
- 2-Estonian Radio broadcast on 27 December 1973, 1974, Translated in FBIS. Daily Report, Soviet Union, 3.
- 3-Fedorchuk V. V. and Stepanov, S. A., 1979, "Otravlennoe Oruzhie Imperialistov", Vestnik Protivovozdushnoi Oborony, No.2.
- 4-Knight, Amy, 1980, "The Powers of the Soviet KGB", Survey, Vol. 25, No.3.
- 5-Malygin, A., 1979, "V Bitve idei net Kompromisov", Molodoi Kommunist, No.1.
- 6-Sovetskaia Estoniia, 23 September 1984.

- 7- Tsvigun, S., 1972, "Ideologicheskaiia diversiia orudie imperialisticheskoi reaktii", Kommunist, No. 5.
8- Tsvigun, S., 1977, "Nash Feliks", Znamia, No.12.
9- Valenta, Jiri, 1975, "Soviet Decisionmaking and the Czechoslovak Crisis of 1968", Studies in Comparative Communism Vol.8, No. 1 – 2.

ثالثاً: الصحف:

- 1- Bakiinskii Rabochii, 19 December 1985.
2- New York Times Magazine, 6 November 1977.
3- Pravda, 11 September 1987.
4- Pravda, 12 February 1980.
5- Pravda, 14 February 1980.
6- Pravda, 21 December 1972.
7- Pravda, 7 November 1985.